يرفرف بين الحراب
مصيري مصيرك بين الحراب
وهذا الذهاب !! »

اذا كان شعر كمال ناصر يتمحور حول الوطن ، فان لهذا التمحور عذابات لحظات الفشل والعزلة . تلك اللحظات التي يستجمع فيها المناضل كل الحنين الى النضال ، طعم المرارة الذي يمتزج فيه صوت العزلة ، بالصبر والالم . هنا يتخلى كمال ناصر عن الكلمة — الصدى ليبحث عن الكلمة الحميمة التي تصل الحزن بالانتظار :

« يا من رأى مظلتي تضيع
تهجرني في موسم البكاء والدموع
تهجرني ،
ومقلة السماء لم تزل
تجتاحني ،
تغمرني ،
بالماء والصقيع » .

يشير د. احسان عباس في مقدمته الى أزمتين كبيرتين تعصفان بهذا الشعر . « أزمة الخضرمة »، و« أزمة الموضوع الكبير » . والواقع ان التعامل النقدي مع هذا الشعر مستحيل ، لاننا نكتشف ان كمال ناصر لم يكن يهتم للانصراف الى العمل الشعري ، لصقل صوته الشعري والاهتمام به . لذلك جاءت قصائده لحظات استراحة تتحلق حول اولوية الممارسة ، فهي شهادة على الجسد الذي ينزف حبا ودما .

في احدى افتتاحيات « فلسطين الثورة » يكتب كمال ناصر مقالا بعنوان « على طريق الشهادة » بعد استشهاد غسان كنفاني « عبرة جديدة يجب ان يعمقها استشهاد غسان في نفوسنا ، وهي ان لا ننتظر الموت والاستشهاد احيانا . بل نمشي اليه ، يجب أن نمشي اليه في كل مكان قبل فوات الاوان وحتى لا نعطش كما عطشنا في أيلول ، وتشرين ، وكانوا على مدار الاعوام نحن ومعنا كل الشرفاء والثوار في العالم ... »

هكذا كانت افتتاحيات فلسطين الثورة . محاولة من موقع المسؤولية الثورية للتشديد على ضرورات العمل الفلسطيني الاولية . الوحدة الوطنية ، ضرورة استمرار الثورة . اكتشاف عبر النضال الثورية لا سيما في فياتنام . وبروحية مسؤولية الكلمة تحولت « فلسطين الثورة » التي كان كمال ناصر يرئس تحريرها الى أداة حقيقية من أدوات النضال .

في القسم الاخير من الآثار النثرية ، نقرأ مجموعة من الصفحات بعنوان « على صدوركم باتون . مذكرات اسير فلسطيني في السجن الكبير » . نتعرف على الشق الآخر من « سداسية الايام الستة » التي كتبها اميل حبيبي ليؤرخ بشكل فني مذهل للاحتلال ، من قبل عرب المناطق المحتلة ١٩٤٨ . هنا ، مع مذكرات كمال ناصر نكتشف القسم الثاني ، الطرف الآخر ، وقع الهزيمة على أهل الضفة الغربية ، والبدايات الصعبة للمقاومة الجماهيرية والمسلحة. نقرأ عن اللقاء بمدن فلسطين وقراها . تلك الرعشة الوطنية التي خلقها الاحتلال في سكان المناطق المحتلة بعد الهزيمة . ونكتشف مع كمال ناصر التجارب النضالية المريرة التي عاشها العرب في اسرائيل ، وعن الروح القومية العالية التي لا تلين ولا تستسلم . الحوار الوحيد الممكن كان ذلك الحوار الذي أجراه كمال ناصر بوصفه معلما في الضفة مع موشي دايان . عندما بدأ دايان جولاته الارهابية المبطنة في المناطق المحتلة . هنا نكتشف ان الحوار كان مقدمة القتال الذي لا بد منه . فالحوار مستحيل كما في قصص كنفاني ، لان القتال وحده والمقاومة الجماهيرية المسلحة هو الذي سيسحق العدو . في السجن الكبير ، نكتشف مع تجربة كمال ناصر شباب الثورة العربية وهو يولد من جديد ، في اصرار الشعب الفلسطيني على رفض الذل والانسحاق . هكذا وببساطة كاملة تصبح الكلمات مجرد اشارات للايصال ، والتركيب يمزج بين الطابع الصحفي السريع وطابع الذكريات الحميمة ، لنتعرف على آلام الولادة الاولى بشكل واضح وبسيط . يخرج الينا البطل الفلسطيني وهو يمسك بالسخرية حين لم يكن هناك بندقية ويجلس على شاطىء حيفا ، ثم حين يلتقي بالنصف الاخر من جسده المزق ، تعود اليه الحياة مبشرة بالقتال الذي يعيد صنع الانسان من جديد .

في « مذكرات اسير فلسطيني » ، نكتشف لماذا طرد كمال ناصر من الارض المحتلة . ولماذا اطلقت الرصاصات في فمه . ونكتشف ان الشعب يستطيع كل يوم ان يجدد شبابه ، لان الثورة قادرة على خلق مسار خاص وجدلية ثورية خاصة .